فضائل الأمة المحمدية في القرآن الكريم

إعداد:

د. محمد بن ناصر الحميد

من ٨٠٧ إلى ٨٦٨

بسم الله الرحمن الرحيم.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، فضّل هذه الأمة على سائر الأمم، ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ آل [عمران: ١١٠]، وميّزها بجليل النعم، ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص: ٦٨]. والصلاة والسلام على خير البرية، وهادي البشرية، -اصطفاه ربه تعالى، وفضله على النبيين والمرسلين-، صلى الله وسلم عليه، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد، فقد احتوى القرآن الكريم على نصوص عديدة تبيّن وتبرز فضل هذه الأمة في ذاتها، وفي نبيها، وفي كتابها، وفي شريعتها. وإني قد عزمت على جمع هذه النصوص وإبراز ما اشتملت عليه من الفضائل التي خصّ الله تعالى بها هذه الأمة؛ لتعرف قدرها عند ربها، وتسلم من الذل والانهزامية التي أصبحت في هذه الأزمان تدبّ في نفوس كثير من المسلمين، فرأوا أن غيرهم خير منهم وأعلى وأرقى، مع أن المسلمين هم أصحاب الدرجة العليى والمنزلة الأسمى، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾ [آل عمران: ١٣٩].

وقد عنونت لهذا البحث باسم فضائل الأمة المحمدية في القرآن الكريم. سائلا الله تعالى التوفيق والسداد، وأن ينفع به العباد.

أهمية الموضوع:

تظهر أهمية هذا الموضوع في النقاط التالية:

١- إن هذا الموضوع يبصر المسلمين بحقيقة حالهم وتفضيل الله إياهم على سائر الأمم.

٢- إن هذا الموضوع يبعث في المسلمين الاعتزاز بدينهم والتمسك به والدعوة إليه.

٣- في هذا الموضوع إسهام في حماية الأمة من الانهزامية والتراجع حينما يرون منزلتهم عند الله تعالىٰ.

٤- إن هذا الموضوع يثرىٰ جانب التفسير الموضوع الذي هو أحد أنواع التفسير.

أسباب اختيار الموضوع:

١- كون هذا الموضوع يخدم المكتبة القرآنية في مجال التفسير الموضوعي.

٢- لم أقف علىٰ كتابة مستقلة في هذا الموضوع الهام.

٣- اغترار بعض المسلمين بالكفرة ومدحهم ورفع منزلتهم.

٤- عناية القرآن بإبراز فضائل هذه الأمة. فأحببت جمعها في هذا البحث وتجليتها للمسلمين.

٥- دعوىٰ بني اسرائيل أنهم أفضل الأمم والرد عليهم.

الدراسات السابقة:

١- الأمة الإسلامية بين القرآن والتاريخ دراسة وتحليل. لغازي التوبة.

٢- الأمة الإسلامية في الآيات القرآنية. لعبد العزيز سليمان أبو صقر.

٣- الأمة الإسلامية كما يريدها القرآن العظيم. لمحمد الصادق الأدفوي.

٤- الأمة الإسلامية مقومات خيريتها في القرآن الكريم. لمالك عبد الكريم الشعار.

٥- الأمة المسلمة في القرآن الكريم. لمحمد جميل الوحيدي.

٦- خصائص الأمة الإسلامية الحضارية كما بينتها سورة المائدة. لإبراهيم الكيلاني.

٧- خصائص الأمة الإسلامية كما يصورها القرآن الكريم. لبدر سعد الرميضي.

٨- فضل الأمة الإسلامية على سائر الأمم في القرآن الكريم. لكوثر عبد الله أحمد.

أهداف البحث:

١- إبراز فضائل هذه الأمة الإسلامية .

٢- معالجة رؤية كثير من المسلمين إلى أمتهم .

٣- إبراز وجوه الفضيلة للأمة الإسلامية .

٤- لفت أنظار وعقول المسلمين إلى الآيات التي تحدثت عن هذا الموضوع الجليل.

خطة البحث.

تشتمل خطة البحث على مقدمة، وتمهيد، وأربعة فصول، وخاتمة، ثم الفهارس.

أما المقدمة، ففيها أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، والدراسات السابقة، وأهداف البحث.

وأما التمهيد، ففيه ما يلي:

أولا: تعريف مصطلحات عنوان البحت.

ثانيا: اصطفاء الله تعالى وتفضيله عباده.

الفصل الأول: فضائل الأمة المحمدية في نبيها -صلى الله عليه وسلم-. وفيه ثلاثة عشر مبحثا.

المبحث الأول: التنويه والبشارة ببعثة النبي محمد -صلى الله عليه وسلم- في الرسالات السابقة.

المبحث الثاني: أخذ العهد على الأنبياء -عليهم السلام- بالإيمان بالنبي محمد -صلى الله عليه وسلم- ونصرته.

المبحث الثالث: كون النبي محمد -صلى الله عليه وسلم- ثمرةَ دعوة إبراهيم -عليه السلام-.

المبحث الرابع: بعثة النبي محمد -صلى الله عليه وسلم- إلى الناس كافة.

المبحث الخامس: نداء الله تعالى النبيَّ محمدا -صلى الله عليه وسلم- بالوصف.

المبحث السادس: إقسام الله تعالى بحياة النبي محمد -صلى الله عليه وسلم-.

المبحث السابع: شرح صدره ومغفرة ذنبه ورفع ذكره.

المبحث الثامن: مسارعة الله تعالى في إرضاء نبيه محمد -صلى الله عليه وسلم-.

المبحث التاسع: الإسراء والمعراج بالنبي محمد -صلى الله عليه وسلم-.

المبحث العاشر: كون النبي محمد -صلى الله عليه وسلم- خاتم النبيين.

المبحث الحادي عشر: زيادة شرف مكة وأمان أهلها من العذاب بفضل وجود النبي محمد -صلى الله عليه وسلم- فيها.

المبحث الثاني عشر: شفاعته للخلائق يوم القيامة.

المبحث الثالث عشر: إعطاؤه الكوثر.

الفصل الثاني: فضائل الأمة المحمدية في كتابها. وفيه سبعة مباحث:

المبحث الأول: التنويه بالقرآن الكريم في الكتب السماوية المتقدمة.

المبحث الثاني: نزول القرآن الكريم منجما مفرقا.

المبحث الثالث: عظم تأثير القرآن الكريم، حتى لو أُنزل على الجبل لخشع وتصدع من خشية الله تعالى.

المبحث الرابع: بقاء معجزة القرآن الكريم واستمرارها.

المبحث الخامس: حفظ الله تعالى القرآنَ الكريمَ.

المبحث السادس: هيمنة القرآن الكريم على الكتب السابقة.

المبحث السابع: شمولية القرآن الكريم، وصلاحية العمل به في كل زمان.

الفصل الثالث: فضائل الأمة المحمدية في شريعتها. وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول: كمال الشريعة وشموليتها.

المبحث الثاني: الهداية إلى استقبال الكعبة في الصلاة.

المبحث الثالث: مشروعية صلاة الجمعة.

المبحث الرابع: تحريم تزويج المؤمنة من الكافر.

المبحث الخامس: تنزيه المساجد من دخول الكفار.

المبحث السادس: التخفيف ورفع الحرج في التشريع.

الفصل الرابع: فضائل الأمة المحمدية في ذاتها. وفيه عشرة مباحث:

المبحث الأول: وسطية الأمة وخيريتها على سائر الأمم.

المبحث الثاني: الإشادة بالأمة وذكر أوصافها في الكتب السابقة.

المبحث الثالث: اصطفاء الأمة بتوريثها القرآن الكريم.

المبحث الرابع: تميّز الأمة المحمدية برتبة السبق بالخيرات.

المبحث الخامس: وعد الله تعالى لمؤمني هذه الأمة بدخول الجنة على اختلاف طبقاتهم.

المبحث السادس: إهلاك عدوهم بأيديهم.

المبحث السابع: تخصيص هذه الأمة بنداء الله تعالى لها بوصف الإيمان والعبودية وبأولي الألباب والبصيرة.

المبحث الثامن: سرعة استجابة الأمة لأوامر الله تعالى.

المبحث التاسع: شهادتها على الناس وللأنبياء.

المبحث العاشر: تفضيل نساء نبيّ الأمة المحمدية على سائر النساء.

الخاتمة: وفيها أهم نتائج البحث.

ثم فهرس المصادر والمراجع. وفهرس الموضوعات.

منهج البحث:

أما منهجي في البحث: لقد اتبعت في هذا البحث المنهج الاستقرائي التحليلي.

وأما منهج الكتابة في البحث، فهو كما يلي:

١- كتابة الآيات القرآنية بالرسم العثماني، مع عزوها بذكر اسم السورة ورقم الآية.

٢- تخريج الأحاديث من مصادرها، مع بيان درجتها من حيث الصحة أو الضعف، وما كان منها في الصحيحين أو أحدهما أكتفي بتخريجه منه.

٣- عزو الأقوال إلى قائليها مع بيان المصدر الذي اقتبست منه.

٤- الاعتناء بعلامات الترقيم.

٥- شرح الألفاظ الغريبة.

التمهيد، وفيه ما يلي:

أولا: تعريف مصطلحات عنوان البحث. وفيه ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: فضائل.

الفضائل: جمع فضيلة. قال ابن فارس: (فضل) الفاء والضاد واللام، أصلٌ صحيح، يدلُّ على زيادةٍ في شيء. من ذلك الفَضْل: الزِّيادة والخير[١]. والفضل والفضيلة: خلاف النقص والنقيصة. والإفضال: الإحسان. ورجل مفضال وامرأة مفضالة على قومها، إذا كانت ذات فضل سمحة. وفضلته على غيره تفضيلا، إذا حكمت له بذلك، أي صيرته كذلك. والفَضِيلةُ: الدرجةُ الرفيعة في الفَضْل[٢].

المسألة الثانية: الأمة.

للأمة عدة معانٍ، منها: الجماعة، والملة والدين، والمدة من الزمن، والإمام، والصنف من الخلق[٣].

والمعنى المقصود في هذا البحث، المعنى الأول، وهو الجماعة.

المسألة الثالثة: المحمدية:

نسبة إلى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم؛ إذ الياء في الكلمة ياء النسبة.

وقد ثبت عن النبي – صلى الله عليه وسلم – حديث جاء فيه: ((يا أمة محمد[٤]....)).

تنبيه: قال الشيخ بكر أبو زيد: ((استنكر بعض أهل العلم هذه العبارة في مجلس؛ لأن هذه الأُمة تنسب إلى دينها: الإسلام، فيقال: الأُمة الإسلامية. أما المحمدية: أو الأُمة المحمدية، فلا يقال؛ لأن فيه تشبهاً بالنصارى لقولهم: المسيحية.

---

[١] معجم مقاييس اللغة لابن فارس – (٤ / ٥٠٨).

[٢] الصحاح – (٥ / ١٧٩١). وتهذيب اللغة – (١٢ / ٢٩). بتصرف.

[٣] ينظر: نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر – (١٤٣ – ١٤٤).

[٤] صحيح البخاري، (١٠٤٤)، كتاب: الاستسقاء، باب: الصدقة في الكسوف، – (٤ / ٢٥٤). وصحيح مسلم، (٢١٢٧)، كتاب: الكسوف، باب: صلاة الكسوف، – (٣ / ٢٧).

وهذا استنكار لا محل له؛ للحديث المذكور. وهذا اللفظ قد وجدته في مواضع عند جماعات من العلماء -رحمهم الله تعالى-))[١].

ثانيا: اصطفاء الله تعالى وتفضيله عباده في القرآن الكريم. وفيه ست مسائل:

المسألة الأولى: اصطفاء الله تعالى وتفضيله جنس بني آدم.

قال تعالى ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾ [الإسراء: ٧٠].

يخبر تعالى عن تشريفه لبني آدم، وتكريمه إياهم، في خلقه لهم على أحسن الهيئات وأكملها. وهذا من كرمه عليهم وإحسانه الذي لا يقادر قدره؛ حيث كرمهم بجميع وجوه الإكرام. فكرمهم بالعلم، والعقل، وإرسال الرسل، وإنزال الكتب. وجعل منهم الأولياء، والأصفياء. وأنعم عليهم بالنعم الظاهرة، والباطنة. وفضلهم بما خصهم به من المناقب والفضائل التي ليست لغيرهم من أنواع المخلوقات[٢].

المسألة الثانية: اصطفاء الله تعالى وتفضيله للنبيين والمرسلين.

قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾﴾ [الحج: ٧٥]. وقال سبحانه: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [آل عمران: ٣٣]. وقال جل في علاه: ﴿وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ﴾ [ص: ٤٧].

قال ابن القيم -رحمه الله- ويكفي في فضلهم وشرفهم أن الله -سبحانه وتعالى- اختصهم بوحيه، وجعلهم أمناء على رسالته، وواسطة بينه وبين عباده. وخصهم بأنواع كراماته. فمنهم من اتخذه خليلا، ومنهم من كلمه تكليما، ومنهم من رفعه مكانا عليا على

---

[١] معجم المناهي اللفظية - (٣١ / ١٤).

[٢] ينظر: تفسير ابن كثير - (٥ /٩٧). وتفسير السعدي - (٤٦٣).

سائرهم درجات. ولم يجعل لعباده وصولا إليه إلا من طريقهم، ولا دخولا إلى جنته إلا خلفهم، ولم يكرم أحدا منهم بكرامة إلا على أيديهم. فهم أقرب الخلق إليه وسيلة[(١)].

المسألة الثالثة: اصطفاء الله تعالى وتفضيله نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم.

قال الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وقال سبحانه: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٢٨ ﴾ [سبأ: ٢٨].

وعن عِكْرِمة -رحمه الله- قال: سمعت ابن عباس -رضي الله عنهما- يقول: ((إن الله فضل محمدًا -صلى الله عليه وسلم- على أهل السماء وعلى الأنبياء. قالوا: يا ابن عباس، فيم فضله الله على الأنبياء؟ قال: إن الله قال: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡ ﴾ [إبراهيم: ٤]، وقال للنبي -صلى الله عليه وسلم-: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ ﴾ [سبأ: ٢٨]، فأرسله الله إلى الجن والإنس[(٢)].

وهذا الذي قاله ابن عباس قد ثبت في الصحيحين رَفْعهُ عن جابر -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: ((أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر. وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل. وأحلت لي الغنائم، ولم تحل لأحد قبلي. وأعطيت الشفاعة. وكان النبي يبعث إلى قومه، وبعثت إلى الناس عامة[(٣)]))[(٤)].

المسألة الرابعة: اصطفاء الله تعالى وتفضيله الصحابة -رضوان الله عليهم-.

قال تعالى: ﴿ قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓ ﴾ [النمل: ٥٩].

---

(١) طريق الهجرتين - (٥١٥).

(٢) تفسير ابن كثير - (٦ / ٥١٨).

(٣) صحيح البخاري، (٣٣٥)، كتاب: التيمم، باب: التيمم، (٢ / ٨٧).

(٤) تفسير ابن كثير - (٦ / ٥١٨).

يقول تعالى آمرًا رسوله –صلى الله عليه وسلم– أن يقول: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾، أي: على نعَمه على عباده من النعم التي لا تعد ولا تحصى، وعلى ما اتصف به من الصفات العُلى والأسماء الحسنى، وأن يُسَلِّم على عباد الله الذين اصطفاهم واختارهم. قال الثوري، والسدي –رحمهما الله–: هم أصحاب محمد –صلى الله عليه وسلم، رضي الله عنهم أجمعين–. وروي نحوه عن ابن عباس –رضي الله عنهما–[1]. وقال ابن القيم –رحمه الله–: وهل سمع بقوم أتم عقولا، وأصح أذهانا، وأكمل علما ومعرفة، وأزكى قلوبا، من هؤلاء الذين قال الله فيهم: ﴿ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ﴾ [النمل: ٥٩]. قال غير واحد من السلف: هم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم[2].

المسألة الخامسة: اصطفاء الله تعالى وتفضيله الأمة المحمدية.

قال الله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ ﴾ [فاطر: ٣٢].

قال ابن سعدي –رحمه الله– في تفسيره هذه الآية: لما كانت هذه الأمة أكمل الأمم عقولا، وأحسنهم أفكارا، وأرقهم قلوبا، وأزكاهم أنفسا، اصطفاهم الله تعالى، واصطفى لهم دين الإسلام، وأورثهم الكتاب المهيمن على سائر الكتب[3].

وقال تعالى مبينا فضل هذه الأمة على سائر الأمم: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١١٠].

---

(١) تفسير ابن كثير – (٦ / ٢٠١).

(٢) الصواعق المرسلة – (٣ / ١١١٧ – ١١١٨).

(٣) تفسير السعدي – (٦٨٩).

المسألة السادسة: اصطفاء الله تعالى وتفضيل بني إسرائيل.

قال تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ٤٧ ﴾ [البقرة: ٤٧]. وقال سبحانه: ﴿ وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَعَلَ فِيكُمۡ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكٗا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمۡ يُؤۡتِ أَحَدٗا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٠ ﴾ [المائدة: ٢٠]. وقال جل وعلا: ﴿ وَلَقَدِ ٱخۡتَرۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ عِلۡمٍ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ٣٢ ﴾ [الدخان: ٣٢]. وقال عز وجل: ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦ ﴾ [الجاثية: ١٦].

يعني بهذه الآيات كلها اصطفاء بني إسرائيل وتفضيلهم في زمان موسى –عليه السلام– على عالمي زمانهم آنذاك. فهم كانوا أشرف الناس في زمانهم، من اليونان والقبط وسائر أصناف بني آدم[1].

[1] ينظر: تفسير ابن كثير – (٣ / ٧٤).

الفصل الأول: فضائل الأمة المحمدية في نبيها –صلى الله عليه وسلم–. وفيه ثلاثة عشر مبحثا.

المبحث الأول: التنويه والبشارة ببعثة النبي محمد –صلى الله عليه وسلم– في الرسالات السابقة.

ورد في القرآن الكريم عدة نصوص اشتملت على التنويه ببعثته –صلى الله عليه وسلم– وذكر اسمه ووصفه في الرسالات السابقة. كما في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، وقوله سبحانه: ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ ﴾ [الصف: ٦].

قال ابن كثير –رحمه الله عند تفسيره قوله تعالى– ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ ﴾ [الأعراف: ١٥٧]: وهذه صفة محمد –صلى الله عليه وسلم– في كتب الأنبياء، بشروا أممهم ببعثه، وأمروهم بمتابعته، ولم تزل صفاته موجودة في كتبهم، يعرفها علماؤهم، وأحبارهم[١]. كما قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ

---

[١] تفسير ابن كثير – (٣ / ٤٨٣).

﴿ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٤٦﴾ [البقرة: ١٤٦]. ومما يدل على معرفتهم إياه قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمۡ كِتَٰبٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ وَكَانُواْ مِن قَبۡلُ يَسۡتَفۡتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [البقرة: ٨٩]. قال ابن كثير -رحمه الله عند تفسير الآية-: أي: وقد كانوا من قبل مجيء هذا الرسول بهذا الكتاب، يستنصرون بمجيئه على أعدائهم من المشركين إذا قاتلوهم، يقولون: إنه سيبعث نبي في آخر الزمان نقتلكم معه قتل عاد وإرم[1].

المبحث الثاني: أخذ العهد على الأنبياء -عليهم السلام- بالإيمان بالنبي محمد -صلى الله عليه وسلم- ونصرته.

قال تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيۡتُكُم مِّن كِتَٰبٖ وَحِكۡمَةٖ ثُمَّ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مُّصَدِّقٞ لِّمَا مَعَكُمۡ لَتُؤۡمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ قَالَ ءَأَقۡرَرۡتُمۡ وَأَخَذۡتُمۡ عَلَىٰ ذَٰلِكُمۡ إِصۡرِيۖ قَالُوٓاْ أَقۡرَرۡنَاۚ قَالَ فَٱشۡهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ٨١﴾ [آل عمران: ٨١].

قال ابن سعدي -رحمه الله في تفسير الآية-: يخبر تعالى أنه أخذ ميثاق النبيين وعهدهم المؤكد؛ بسبب ما أعطاهم من كتاب الله المنزل، والحكمة الفاصلة بين الحق والباطل، والهدى والضلال، إنه إن بعث الله رسولا مصدقا لما معهم أن يؤمنوا به، ويصدقوه، ويأخذوا ذلك على أممهم. فالأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- قد أوجب الله عليهم أن يؤمن بعضهم ببعض، ويصدق بعضهم بعضا؛ لأن جميع ما عندهم هو من عند الله، وكل ما من عند الله يجب التصديق به والإيمان، فهم كالشيء الواحد. فعلى هذا قد علم أن محمدا -صلى الله عليه وسلم- هو خاتمهم، فكل الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- لو أدركوه لوجب عليهم الإيمان به، واتباعه ونصرته. وكان هو إمامهم ومقدمهم ومتبوعهم. فهذه الآية الكريمة من

---

[1] تفسير ابن كثير - (١ / ٣٢٥).

أعظم الدلائل على علو مرتبته وجلالة قدره، وأنه أفضل الأنبياء وسيدهم صلى الله عليه وسلم[١].

وقال علي بن أبي طالب: لم يبعث الله نبيا، -آدم ومن بعده- إلا أخذ عليه العهد في أمر محمد، وأخذ العهد على قومه ليؤمنن به، ولئن بعث وهم أحياء لينصرنه[٢].

المبحث الثالث: كون النبي محمد -صلى الله عليه وسلم- ثمرةَ دعوة إبراهيم -عليه السلام-.

كان من دعاء إبراهيم -وهو يرفع القواعد من البيت مع ابنه إسماعيل عليهما السلام-: ﴿ رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١٢٩ ﴾ [البقرة: ١٢٩].

هذا إخبار من الله تعالى عن تمام دعوة إبراهيم لأهل الحرم أن يبعث الله فيهم رسولا من ذريته -عليه السلام-. وقد وافقت هذه الدعوة المستجابة قَدَرَ الله السابق في تعيين محمد -صلوات الله وسلامه عليه- رسولا إلى الناس كافة، عربهم وعجمهم[٣].

وعن أبي أُمَامَةَ -رضي الله عنه- قَالَ: قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ، مَا كَانَ أَوَّلُ بَدْءِ أَمْرِكَ؟ قَالَ: ((دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ وَبُشْرَى عِيسَى، وَرَأَتْ أُمِّي أَنَّهُ يَخْرُجُ مِنْهَا نُورٌ أَضَاءَتْ مِنْهُ قُصُورُ الشَّامِ))[٤].

والمراد أن أول من نوّه بذكر محمد -صلى الله عليه وسلم- وشهره في الناس، إبراهيم -عليه السلام-. ولم يزل ذكره في الناس مذكورًا مشهورًا سائرًا حتى أفصح باسمه خاتمُ أنبياء بني إسرائيل نسبًا، وهو عيسى بن مريم -عليه السلام؛ حيث قام في بني إسرائيل خطيبًا،

---

(١) تفسير السعدي - (١٣٦).

(٢) تفسير البغوي - (٢ /٦٢).

(٣) تفسير ابن كثير - (١ /٤٤٣) بتصرف يسير.

(٤) مسند الإمام أحمد بتحقيق شعيب الأرنؤوط، (٢٢٢٦١)، - (٣٦ /٥٩٦). قال شعيب الأرنؤوط: صحيح لغيره. وقال الألباني: هذا إسناد حسن، وله شواهد تقويه. السلسلة الصحيحة - (٤ /١٢٠).

وقال: ﴿إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦]؛ ولهذا قال في هذا الحديث: ((دعوة أبي إبراهيم، وبشرى عيسى بن مريم))[١].

المبحث الرابع: بعثة النبي محمد –صلى الله عليه وسلم– إلى الناس كافة.

قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأعراف: ١٥٨].

أمر الله تعالى نبيه محمدا –صلى الله عليه وسلم– أن ينادي في الناس قائلا لهم: إني رسول الله إليكم جميعا، إلى العرب والعجم، والأحمر والأسود، لا إلى قوم دون قوم. وهذا معنى قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [سبأ: ٢٨]. وهذه فضيلة له –صلى الله عليه وسلم– دون غيره من الأنبياء –عليهم السلام–. فعن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ –رضي الله عنهما– أَنَّ النَّبِيَّ – صلى الله عليه وسلم – قَالَ ((أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ ، وَجُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلاَةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْمَغَانِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لأَحَدٍ قَبْلِي، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً))[٢]. وفي رواية مسلم: ((وبعثت إلى كل أحمر وأسود)).

قال الإمام النووي –رحمه الله–: قوله –صلى الله عليه وسلم–: ((وبعثت إلى كل أحمر وأسود))، وفي الرواية الأخرى ((إلى الناس كافة)). قيل المراد بالأحمر البيض من العجم

---

[١] تفسير ابن كثير – (١ / ٤٤٤) بتصرف يسير.

[٢] صحيح البخاري، (٣٣٥)، كتاب: التيمم، باب: قول النبي –صلى الله عليه وسلم–جُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، – (٢ /٨٧). وصحيح مسلم، (١١٩١)، كتاب: المساجد، باب: مواضع الصلاة، – (٢ /٦٣).

وغيرهم، وبالأسود العرب؛ لغلبة السمرة فيهم، وغيرهم من السودان. وقيل المراد بالأسود السودان، وبالأحمر من عداهم من العرب وغيرهم. وقيل الأحمر الإنس، والأسود الجن. والجميع صحيح، فقد بعث إلى جميعهم[1].

المبحث الخامس: نداء الله تعالى النبيَّ محمدا –صلى الله عليه وسلم– بالوصف.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ ﴾ [الأحزاب: ٤٥]، وقال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ﴾ [المائدة: ٦٧]، وقال عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ ﴾ [المزمل: ١]، وقال جل وعلا: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ ﴾ [المدثر: ١].

ورد نداء الله تعالى نبيَّه محمداً –صلى الله عليه وسلم– بوصف النبوة والرسالة من بين سائر الأنبياء؛ حيث لم يناده ربه سبحانه في القرآن باسمه العلم. وفي هذا تكريم وتفضيل له –عليه الصلاة والسلام– ورفعة لشأنه على سائر الأنبياء –عليهم السلام–.

كما ناداه سبحانه بحالة التزمل والتدثر، وهو الالتفاف بالثياب[2]. والمقصود بندائه بهذه الهيئة التلطف به والتحبب إليه ولهيئته التي كان عليها[3] وتطمينه مما نزل به من الخوف والفزع؛ لرؤيته جبريل –عليه السلام– بداية الوحي. فكانت هذه فضيلة له –عليه الصلاة والسلام– لم يحظ بها نبي غيره.

أما نداء الله تعالى سائر الأنبياء –عليهم السلام– كان باسمهم العلم. كما في قوله تعالى: ﴿ وَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ ﴾ [البقرة: ٣٥]، وقوله سبحانه: ﴿ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفۡ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴾ [النمل: ١٠]، وقوله سبحانه:

---

(١) شرح النووي على مسلم – (٥ /٥).

(٢) ينظر: تفسير الطبري – (٢٣ / ٦٧٦). وتفسير البغوي – (٨ / ٢٤٦).

(٣) ينظر: التحرير والتنوير – (٢٩ / ٢٣٨)، و(٢٩ / ٢٧٤).

﴿ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾ ﴾ [مريم: ٧].

المبحث السادس: إقسام الله تعالى بحياة النبي محمد -صلى الله عليه وسلم-.

قال تعالى: ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ [الحجر: ٧٢].

أقسم تعالى بحياة نبيه -صلوات الله وسلامه عليه-، عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أنه قال: ما خلق الله وما ذرأ وما برأ نفسًا أكرم عليه من محمد -صلى الله عليه وسلم-، وما سمعت الله أقسم بحياة أحد غيره، قال الله تعالى: ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾، يقول: وحياتك وعمرك وبقائك في الدنيا[(١)]. وفي هذا تشريف عظيم، ومقام رفيع وجاه عريض له -صلى الله عليه وسلم-.

قال العلامة الشنقيطي -رحمه الله تعالى-: وقوله: ﴿ لَعَمْرُكَ ﴾، معناه: أقسم بحياتك. والله جل وعلا له أن يقسم بما شاء من خلقه. ولم يقسم في القرآن بحياة أحد إلا نبينا -صلى الله عليه وسلم-. وفي ذلك من التشريف له -صلى الله عليه وسلم- ما لا يخفى[(٢)].

المبحث السابع: شرح صدره ومغفرة ذنبه ورفع ذكره.

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ ﴾ [الشرح: ١ - ٤].

لقد امتنّ الله تعالى على رسوله محمد -صلى الله عليه وسلم-؛ حيث شرح له صدره، بأن وسعه لشرائع الدين والدعوة إلى الله، والاتصاف بمكارم الأخلاق، والإقبال على الآخرة، وتسهيل الخيرات، فلم يكن ضيقًا حرجًا لا يكاد ينقاد لخير، ولا تكاد تجده

---

(١) ينظر: تفسير الطبري - (١٧ /١١٨). وتفسير ابن كثير - (٤ /٥٤٢).

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن - (٢ /١٨٩).

منبسطًا. وَوَضَع عَنْه ذنبه الَّذِي أثقل ظَهْرَه، كما قال تعالى: ﴿ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ [الفتح: ٢]. وَرَفَع لَه ذِكْرَه؛ حيث أعلى قدره، وجعل له الثناء الحسن العالي، الذي لم يصل إليه أحد من الخلق. فلا يذكر الله إلا ذكر معه رسوله –صلى الله عليه وسلم–، كما في الدخول في الإسلام، وفي الأذان، والإقامة، والخطب، وغير ذلك من الأمور التي أعلى الله بها ذكر رسوله محمد –صلى الله عليه وسلم–. وله في قلوب أمته من المحبة والإجلال والتعظيم ما ليس لأحد غيره بعد الله تعالى. فجزاه الله عن أمته أفضل ما جزى نبيًا عن أمته[١].

المبحث الثامن: مسارعة الله تعالى في إرضاء نبيه محمد –صلى الله عليه وسلم–.

قال تعالى: ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ۝٥ ﴾ [الضحى: ٥]، أي: ولسوف يعطيك ربك الفتح في الدنيا والثواب في الآخرة. وهذا يدل على أن الله سبحانه يعطي نبيه محمدا –صلى الله عليه وسلم– ما يرضى به من خيري الدنيا والآخرة[٢].

ومن ذلك استجابة رغبته في تحويل القبلة. فقد كان النبي –صلى الله عليه وسلم– حريصا داعيا راغبا إلى ربه أن يحول القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة شوقا إليها وحبا لها؛ لكونها قبلة أبيه إبراهيم –عليه السلام–. فاستجاب الله تعالى دعاءه –صلى الله عليه وسلم–؛ حيث قال: ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ﴾ [البقرة: ١٤٤]. قال ابن سعدي –رحمه الله– في قوله: ﴿قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ﴾، أي: تحبها، وهي الكعبة. وفي هذا بيان لفضله وشرفه –صلى الله عليه وسلم–؛ حيث إن الله تعالى يسارع في رضاه[٣].

---

[١] تفسير السعدي – (٩٢٩) بتصرف.

[٢] فتح القدير – (٨/ ١٥).

[٣] تفسير السعدي – (ص ٧١).

وكذلك قوله تعالى: ﴿ تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِيٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ﴾ [الأحزاب: ٥١]. عَنْ عَائِشَةَ -رضي الله عنها- قَالَتْ كُنْتُ أَغَارُ عَلَى اللاَّتِي وَهَبْنَ أَنْفُسَهُنَّ لِرَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-، وَأَقُولُ: أَتَهَبُ الْمَرْأَةُ نَفْسَهَا؟ فَلَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِيٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ﴾ [الأحزاب: ٥١]. قُلْتُ: مَا أُرَى رَبَّكَ إِلاَّ يُسَارِعُ فِي هَوَاكَ[(١)].

المبحث التاسع: الإسراء والمعراج بالنبي محمد -صلى الله عليه وسلم-.

ومن نعم الله تعالى وفضله على نبيه -صلى الله عليه وسلم- وإكرامه له، إسراء جبريل – عليه السلام- وعروجه به إلى السماء. قال تعالى: ﴿ سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِي بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ ﴾ [الإسراء: ١]. وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَـٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾ ﴾ [النجم: ١٣ – ١٨].

فقد نزه الله تعالى نفسه المقدسة وعظمها؛ لأن له الأفعال العظيمة والمنن الجسيمة، التي من جملتها: أن أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ ورسوله محمد -صلى الله عليه وسلم- مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ -الذي هو أجل المساجد على الإطلاق- إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى -الذي هو من المساجد الفاضلة، وهو محل الأنبياء-. فأسري به إلى مسافة بعيدة جدا، وعُرِج به إلى السماء، حتى بلغ سدرة المنهى، في ليلة واحدة، ورجع في ليلته. وأراه الله من آياته ما

---

(١) صحيح البخاري، (٤٧٨٨)، كتاب: التفسير، باب: قَوْلِهِ ((تُرْجِئُ مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكَ))، – (١٦ /٣٣).

ازداد به هدى وبصيرة وثباتا وفرقانا. وهذا من اعتنائه تعالى به ولطفه؛ حيث يسره لليسرى في جميع أموره، وخوله نعما فاق بها الأولين والآخرين.

وقد تكاثرت الأحاديث الثابتة عن النبي –صلى الله عليه وسلم– في الإسراء والمعراج، وما رأى فيهما من الآيات التي منها: رؤية الأنبياء على مراتبهم، والجنة والنار، وفرض عليه الصلوات، وغير ذلك.

وقد كان الإسراء والمعراج بروحه وجسده معا، وإلا لم يكن في ذلك آية كبرى ومنقبة عظيمة. فحاز من المفاخر تلك الليلة هو وأمته ما لا يعلم مقداره إلا الله عز وجل[١].

المبحث العاشر: كون النبي محمد –صلى الله عليه وسلم– خاتم النبيين.

قال تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ٤٠ ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

في قوله: ﴿ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾، قراءتان متواترتان: إحداهما بِفَتْحِ التَّاءِ هكذا: ﴿وَخَاتَمَ ﴾، ومعناها: أنه صار كالخاتَم لهم الذي يتختمون به ويتزينون بكونه منهم. والقراءة الأخرى: بكسر التاء هكذا: ﴿وخَاتِمَ﴾، ومعناها: أنه ختمهم، أي: جاء آخرهم. وذلك لأنه –صلى الله عليه وسلم– ختم النبوة؛ حيث تممها بمجيئه[٢].

فهذه الآية نص في أنه –صلى الله عليه وسلم– لا نبي بعده. –وإذا كان لا نبي بعده، فلا رسول بعده بطريق الأولى والأحرى؛ لأن مقام الرسالة أخص من مقام النبوة، فإن كل رسول نبي، ولا ينعكس–. وبذلك وردت الأحاديث المتواترة عن رسول الله –

[١] تفسير السعدي – (٤٥٣) بتصرف.

[٢] ينظر: المفردات في غريب القرآن للراغب – (١٤٣). والنشر في القراءات العشر – (٢ /٣٤٨). وفتح القدير للشوكاني – (٦ /٥٢).

صلى الله عليه وسلم-[١]. فعن أبيّ بن كعب -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: ((مثلي في النبيين كمثل رجل بنى دارًا فأحسنها وأكملها، وترك فيها موضع لَبنة لم يَضَعها، فجعل الناس يطوفون بالبنيان ويعجبون منه، ويقولون: لو تمَّ موضع هذه اللبنة؟ فأنا في النبيين موضع تلك اللبنة))[٢].

المبحث الحادي عشر: زيادة شرف مكة وأمان أهلها من العذاب بفضل وجود النبي محمد -صلى الله عليه وسلم- فيها.

لقد شرف تعالى مكة وجعل إقامة النبي -صلى الله عليه وسلم- زيادة في تشريفها وأمانا لأهلها من العذاب. قال تعالى: ﴿ لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝٢ ﴾ [البلد: ١ - ٢]. أي: وأنت حال بها، أي: من الحلول والبقاء والسكنى. على أحد معنيي الآية، فإن الله أقسم بمكة لما جمعت من الشرفين: شرفها بإضافتها إلى الله تعالى، وشرفها بحضور رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وإقامته فيها، فصارت أهلاً لأن يقسم بها[٣].

وفي هذا تأكيد لشرفها؛ إذ هي أولا فيها بيت الله، -وهو شرف عظيم-، ثم فيها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حال فيها بين أهلها. فإن حلوله -صلى الله عليه وسلم- بهذا البلد له شأن عظيم فعلا، وأهمه أن الله رافع عنهم العذاب؛ لوجوده فيهم، كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمۡ وَأَنتَ فِيهِمۡ ﴾ [الأنفال: ٣٣] ،

---

[١] تفسير ابن كثير - (٦ /٤٢٨).

[٢] مسند أحمد، بتحقيق الأرنؤوط، (٢١٢٤٣)، (٣٥ /١٦٧). قال شعيب الأرنؤوط: صحيح لغيره.

وسنن الترمذي، (٣٦١٣)، كتاب: المناقب، باب: في فضل النبي -صلى الله عليه وسلم - (٥ /٥٨٦). قال أبو عيسى الترمذي: هذا حديث حسن.

[٣] البحر المحيط - (٨ /٤٧٠) بتصرف.

فكأنه تعالى يقول: وهذا البلد الأمين من العذاب، وهؤلاء الآمنون من العذاب بفضل وجودك فيهم[(١)].

المبحث الثاني عشر: شفاعته للخلائق يوم القيامة.

قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩ ﴾ [الإسراء: ٧٩].

قال أكثر أهل العلم: ذلك هو المقام الذي هو يقومه -صلى الله عليه وسلم- يوم القيامة للشفاعة للناس ليريحهم ربهم من عظيم ما هم فيه من شدّة ذلك اليوم[(٢)]. فإن الله عز وجل أعطى نبينا -صلى الله عليه وسلم- من الشرف العظيم والحظ الجزيل ما لم يعطه نبيا قبله؛ حيث أعطاه المقام المحمود، وهو: الشفاعة للخلق يزيده شرفا وفضلا. فهذه كرامة عظيمة وفضيلة جليلة، خص الله الكريم بها نبينا صلى الله عليه وسلم، وأقر له بها عينه، يغبطه عليها الأولون والآخرون، وسر الله الكريم بها المؤمنين. فالحمد لله على ذلك[(٣)].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه- قَالَ أُتِيَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يَوْمًا بِلَحْمٍ فَرُفِعَ إِلَيْهِ الذِّرَاعُ، -وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ- فَنَهَس مِنْهَا نَهْسَةً، فَقَالَ: ((أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. وَهَلْ تَدْرُونَ بِمَ ذَاكَ؟ يَجْمَعُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَيُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي، وَيَنْفُذُهُمُ الْبَصَرُ، وَتَدْنُو الشَّمْسُ، فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنَ الْغَمِّ وَالْكَرْبِ مَا لاَ يُطِيقُونَ، وَمَا لاَ يَحْتَمِلُونَ. فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: أَلاَ تَرَوْنَ مَا أَنْتُمْ فِيهِ؟ أَلاَ تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ؟ أَلاَ تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ؟ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: ائْتُوا آدَمَ. فَيَأْتُونَ آدَمَ، فَيَقُولُونَ: يَا آدَمُ أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ، خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ،

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن – (٨ / ٥٣٠) بتصرف.

(٢) تفسير الطبري – (١٧ / ٥٢٦).

(٣) الشريعة للآجري – (٣ / ٢٠٦) بتصرف.

وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ الْمَلاَئِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ. اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلاَ تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلاَ تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغنَا؟ فَيَقُولُ آدَمُ: إِنَّ رَبِّي غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ. وَإِنَّهُ نَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ. فَيَأْتُونَ نُوحًا، فَيَقُولُونَ: يَا نُوحُ، أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى الأَرْضِ، وَسَمَّاكَ اللَّهُ عَبْدًا شَكُورًا، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ. أَلاَ تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلاَ تَرَى مَا قَدْ بَلَغنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمْ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ. وَإِنَّهُ قَدْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ دَعَوْتُ بِهَا عَلَى قَوْمِي، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى إِبْرَاهِيمَ -صلى الله عليه وسلم-. فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ نَبِيُّ اللَّهِ وَخَلِيلُهُ مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلاَ تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلاَ تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمْ إِبْرَاهِيمُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلاَ يَغْضَبُ بَعْدَهُ مِثْلَهُ. وَذَكَرَ كَذَبَاتِهِ، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى مُوسَى. فَيَأْتُونَ مُوسَى -صلى الله عليه وسلم-، فَيَقُولُونَ: يَا مُوسَى، أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ، فَضَّلَكَ اللَّهُ بِرِسَالاَتِهِ وَبِتَكْلِيمِهِ عَلَى النَّاسِ. اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلاَ تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلاَ تَرَى مَا قَدْ بَلَغنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمْ مُوسَى -صلى الله عليه وسلم-: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ. وَإِنِّي قَتَلْتُ نَفْسًا لَمْ أُومَرْ بِقَتْلِهَا، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى -صلى الله عليه وسلم-. فَيَأْتُونَ عِيسَى، فَيَقُولُونَ: يَا عِيسَى أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ، وَكَلَّمْتَ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ، وَكَلِمَةٌ مِنْهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ. فَاشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلاَ تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلاَ تَرَى مَا قَدْ بَلَغنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمْ عِيسَى -صلى الله عليه وسلم-: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ. -وَلَمْ يَذْكُرْ لَهُ ذَنْبًا- نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ -صلى الله عليه وسلم-. فَيَأْتُونِي، فَيَقُولُونَ: يَا مُحَمَّدُ، أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ، وَخَاتَمُ الأَنْبِيَاءِ، وَغَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلاَ تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلاَ تَرَى مَا قَدْ بَلَغنَا؟ فَأَنْطَلِقُ فَآتِي تَحْتَ الْعَرْشِ فَأَقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّي، ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيَّ وَيُلْهِمُنِي مِنْ

مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ لأَحَدٍ قَبْلِي. ثُمَّ يُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، سَلْ تُعْطَهْ اشْفَعْ تُشَفَّعْ))[١]. الحديث.

المبحث الثالث عشر: إعطاؤه الكوثر.

يقول الله تعالى لنبيه محمد -صلى الله عليه وسلم- ممتنا عليه: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴿١﴾﴾ [الكوثر: ١]. أي: الخير الكثير، والفضل الغزير، الذي من جملته: ما يعطيه الله لنبيه -صلى الله عليه وسلم- يوم القيامة، من النهر الذي يقال له الكوثر، ومن الحوض[٢]. فعَنْ أَنَسٍ -رضي الله عنه- قَالَ: بَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- ذَاتَ يَوْمٍ بَيْنَ أَظْهُرِنَا، إِذْ أَغْفَى إِغْفَاءَةً، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مُتَبَسِّمًا فَقُلْنَا: مَا أَضْحَكَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: أُنْزِلَتْ عَلَيَّ آنِفًا سُورَةٌ، فَقَرَأَ: بسم الله الرحمن الرحيم، ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴿٣﴾﴾ [الكوثر: ١ - ٣]. ثُمَّ قَالَ: أَتَدْرُونَ مَا الْكَوْثَرُ؟ فَقُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: فَإِنَّهُ نَهْرٌ وَعَدَنِيهِ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ، عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ، هُوَ حَوْضٌ، تَرِدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، آنِيَتُهُ عَدَدُ النُّجُومِ))[٣]. الحديث.

---

[١] صحيح البخاري، (٤٧١٢)، كتاب: التفسير، سورة بني إسرائيل، باب: ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا، - (١٥ /٣٧٨). وصحيح مسلم، (٥٠١)، كتاب: الإيمان، باب: باب أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً فِيهَا، - (١ /١٢٧).

[٢] تفسير السعدي - (٩٣٥).

[٣] صحيح مسلم، (٩٢١)، كتاب: الصلاة، باب: حُجَّةِ مَنْ قَالَ: الْبَسْمَلَةُ آيَةٌ مِنْ أَوَّلِ كُلِّ سُورَةٍ سِوَى بَرَاءَةَ، - (٢ /١٢).

الفصل الثاني: فضائل الأمة المحمدية في كتابها.

لقد خص الله تعالى القرآن الكريم بفضائل تميّز بها عن الكتب السماوية السابقة. وفي ذلك تشريف لهذه الأمة. وفي هذا الفصل سبعة مباحث.

المبحث الأول: التنويه بالقرآن الكريم في الكتب السماوية المتقدمة.

إن من فضائل هذه الأمة أنّ ذِكْر هذا القرآن والتنويه به موجود في كتب الأولين المأثورة عن أنبيائهم، الذين بشروا به في قديم الدهر. قال تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَفِي زُبُرِ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوَلَمۡ يَكُن لَّهُمۡ ءَايَةً أَن يَعۡلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُاْ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾ ﴾ [الشعراء: ١٩٢ – ١٩٧]. فقوله: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَفِي زُبُرِ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾، أي: وإن ذكر هذا القرآن لموجود في كتب الأولين. ﴿ أَوَلَمۡ يَكُن لَّهُمۡ ءَايَةً أَن يَعۡلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُاْ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴾، أي: أو ليس يكفيهم من الشاهد الصادق على ذلك: أن العلماء من بني إسرائيل يجدون ذكر هذا القرآن في كتبهم التي يدرسونها؟ وهم العدول منهم، الذين يعترفون بما في أيديهم من صفة محمد –صلى الله عليه وسلم– ومبعثه وأمته، كما أخبر بذلك مَنْ آمن منهم، كعبد الله بن سلام، وسلمان الفارسي –رضي الله عنهما–[١].

المبحث الثاني: نزول القرآن الكريم منجما مفرقا.

---

[١] ينظر: تفسير ابن كثير – (٦ /١٦٣).

إن من فضائل هذه الأمة في كتابها: نزولَ هذا القرآن الكريم منجمًا مفرّقًا بحسب الأحوال والحوادث والمناسبات، -لا كالكتب السابقة التي كان نزولها جملة واحدة-. وهذا مما يدل على عظمة هذا الكتاب واعتناء الله تعالى بمن أُنزِل عليه، كما قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾ ﴾ [الفرقان: ٣٢ – ٣٣].

قال ابن سعدي -رحمه الله عند تفسيره للآية-: هذا من جملة مقترحات الكفار الذي توحيه إليهم أنفسهم فقالوا: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ﴾، أي: كما أنزلت الكتب قبله. وأي محذور من نزوله على هذا الوجه؟ بل نزوله على هذا الوجه أكمل وأحسن؛ ولهذا قال: ﴿كَذَٰلِكَ ﴾ أنزلناه متفرقا؛ ﴿لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ﴾؛ لأنه كلما نزل عليه شيء من القرآن ازداد طمأنينة وثباتا، وخصوصا عند ورود أسباب القلق. فإن نزول القرآن عند حدوث السبب يكون له موقع عظيم وتثبيت كثير، أبلغ مما لو كان نازلا قبل ذلك ثم تذكره عند حلول سببه. ﴿وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴾، أي: مهلناه ودرجناك فيه تدريجا.

وهذا كله يدل على اعتناء الله تعالى بكتابه القرآن، وبرسوله محمد -صلى الله عليه وسلم-؛ حيث جعل إنزال كتابه جاريا على أحوال الرسول ومصالحه الدينية[1].

المبحث الثالث: عظم تأثير القرآن الكريم، حتى لو أُنزل على الجبل لخشع وتصدع من خشية الله تعالى.

قال تعالى: ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الحشر: ٢١].

---

[1] تفسير السعدي – (٥٨٢).

بيّن الله تعالى في هذه الآية عظمة تأثير القرآن الكريم، وعلو قدره، وأنه ينبغي أن تخشع له القلوب، وتتصدع عند سماعه؛ لما فيه من الوعد والوعيد الأكيد. فإن كان الجبل في غلظته وقساوته لو فهم هذا القرآن فتدبر ما فيه لخشع وتصدع من خوف الله عز وجل، فكيف يليق بالبشر ألاّ تلينَ قلوبهم وتخشع وتتصدع من خشية الله إذا فهموا عن الله أمره وتدبروا كتابه؟ ولهذا قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1].

فكان ذلك فضيلة تميز بها القرآن العظيم على سائر الكتب السابقة، فإن الله تعالى قد قال في شأن نزوله: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥﴾ [المزمل: ٥]، أي: ثقيلٌ وقت نزوله؛ من عظمته[2].

المبحث الرابع: بقاء معجزة القرآن الكريم واستمرارها.

لقد كان القرآن الكريم آية معجزة لا يستطيع أحد –منذ وقت الفصاحة العربية إلى قيام الساعة– أن يعارضه ويأتيَ بمثله، ولا بشيء منه. قال تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ۝٨٨﴾ [الإسراء: ٨٨]، وقال سبحانه: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٢٣ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ۝٢٤﴾ [البقرة: ٢٣ – ٢٤]. فبقي القرآن الكريم معجزة مستمرة إلى آخر الزمن، بخلاف معجزات الأنبياء التي انتهت بموتهم –عليهم السلام–. قال تعالى: ﴿

---

[1] تفسير ابن كثير – (٨ /٧٨) بتصرف.

[2] تفسير ابن كثير – (٨ /٢٥١).

﴿ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ ﴾ [الأنعام: ١٩]، فبيّنت الآية الكريمة بقاء واستمرار معجزة القرآن الكريم على مرِّ العصور إلى قيام الساعة(١).

وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال: ((مَا مِنَ الأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ إِلاَّ أُعْطِيَ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِى أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ))(٢). قال ابن كثير –رحمه الله–: معناه: أن معجزة كل نبي انقرضت بموته، وهذا القرآن حجة باقية على الآباد، لا تنقضي عجائبه، ولا يَخْلَقُ عن كثرة الردّ، ولا يشبع منه العلماء، هو الفصل ليس بالهزل. من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى من غيره أضله الله(٣).

المبحث الخامس: حفظ الله تعالى القرآنَ الكريمَ.

لقد حظي القرآن الكريم بعناية الله تعالى وحفظه له من بين سائر الكتب السابقة التي وُكِل حفظها إلى علمائها، قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَۚ ﴾ [المائدة: ٤٤]. وأما في شأن القرآن الكريم، فقد قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ٩ ﴾ [الحجر: ٩]. قال ابن سعدي –رحمه الله– أي: في حال إنزاله وبعد إنزاله، ففي حال إنزاله حافظون له من استراق كل شيطان رجيم، وبعد إنزاله أودعه الله في قلب رسوله، واستودعه في قلوب أمته، وحفظ الله ألفاظه من التغيير فيها والزيادة والنقص، ومعانيه من التبديل، فلا يحرف

(١) انظر: تفسير السعدي – (ص ٢٥٢). والتحرير والتنوير – (٧ / ١٦٨).

(٢) صحيح البخاري، (٤٩٨١)، كتاب: فضائل القرآن، باب: كَيْفَ نُزُولُ الْوَحْىِ وَأَوَّلُ مَا نَزَلَ، – (١٦ /٤٦٠). وصحيح مسلم، (٤٠٢)، كتاب: الإيمان، باب: وُجُوبِ الإِيمَانِ بِرِسَالَةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ –صلى الله عليه وسلم– إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ وَنَسْخِ الْمِلَلِ بِمِلَّتِهِ، – (١ /٩٢).

(٣) تفسير ابن كثير – (٤ /٤٦١).

محرف معنىٰ من معانيه إلا وقيض الله له من يبين الحق المبين. وهذا من أعظم آيات الله ونعمه علىٰ عباده المؤمنين(١).

المبحث السادس: هيمنة القرآن الكريم علىٰ الكتب السابقة.

قال تعالىٰ: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ [المائدة: ٤٨]، وقال سبحانه: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا ﴾ [الكهف: ١ – ٢].

قيل في معنىٰ كون القرآن الكريم ((قيما)): إنه قيم علىٰ ما قبله من الكتب السماوية، أي مهيمن عليها. وعلىٰ هذا التفسير فالآية كقوله تعالىٰ: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ [المائدة: ٤٨]، أي: شهيدًا عليها أنها حق من عند الله، أمينًا عليها، حافظا لها(٢).

وقال السعدي –رحمه الله–: أي: مشتملا علىٰ ما اشتملت عليه الكتب السابقة وزيادة في المطالب الإلهية والأخلاق النفسية. فهو الكتاب الذي تتبع كل حق جاءت به الكتب فأمر به، وحث عليه، وأكثر من الطرق الموصلة إليه. وهو الكتاب الذي فيه نبأ السابقين واللاحقين، وهو الكتاب الذي فيه الحكم والحكمة والأحكام، الذي عُرضت عليه الكتب السابقة، فما شهد له بالصدق فهو المقبول، وما شهد له بالرد فهو مردود، قد دخله التحريف والتبديل، وإلا فلو كان من عند الله، لم يخالفه(٣).

وقال الشنقيطي –رحمه الله–: ولأجل هيمنته علىٰ ما قبله من الكتب، قال تعالىٰ: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾ [النمل: ٧٦]، وقال: ﴿ قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [آل عمران: ٩٣]،

---

(١) تفسير السعدي – (ص ٤٢٩).

(٢) ينظر: تفسير الطبري – (١٠ /٣٧٧). وأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن – (٣ /١٩٣).

(٣) تفسير السعدي – (ص ٢٣٤).

وقال : ﴿ يَـٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَـٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَـٰبِ ﴾ [المائدة: ١٥][1].

المبحث السابع: شمولية القرآن الكريم، وصلاحية العمل به في كل زمان.

قال تعالى: ﴿ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَـٰبَ تِبۡيَـٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ ﴾ [النحل: ٨٩]، وقال سبحانه: ﴿ مَا كَانَ حَدِيثٗا يُفۡتَرَىٰ وَلَـٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ ﴾ [يوسف: ١١١].

إن القرآن الكريم اشتمل على كل علم نافع من خبر ما سبق وعلم ما سيأتي، وحكم كل حلال وحرام، وما الناس إليه محتاجون في أمر دنياهم ودينهم ومعاشهم ومعادهم[2]. ويستلزم ذلك صلاحية العمل به لأهل كل زمان، قال تعالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١ ﴾ [الفرقان: ١]، وقال جل وعلا: ﴿ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَـٰلَمِينَ ۝٥٢ ﴾ [القلم: ٥٢]. وقال عز وجل: ﴿ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَـٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ﴾ [الأنعام: ١٩].

الفصل الثالث: فضائل الأمة المحمدية في شريعتها.

لقد ميّز الله تعالى هذه الشريعة التي جعلها لهذه الأمة بمزايا عظيمة وفضائل جليلة. أورد القرآن الكريم جملة منها تنويها بهذه الأمة وتكريما لها على سائر الأمم. وفي هذا الفصل ستة مباحث.

المبحث الأول: كمال الشريعة وشموليتها.

---

[1] أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن – (٣ /١٩٣).
[2] تفسير ابن كثير – (٤ /٥٩٤).

قال تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾ [المائدة: ٣]. قال ابن كثير –رحمه الله– هذه أكبر نعم الله –عز وجل– على هذه الأمة؛ حيث أكمل تعالى لهم دينهم، فلا يحتاجون إلى دين غيره، ولا إلى نبي غير نبيهم –صلوات الله وسلامه عليه–؛ ولهذا جعله الله خاتم الأنبياء، وبعثه إلى الإنس والجن، فلا حلال إلا ما أحله، ولا حرام إلا ما حرمه، ولا دين إلا ما شرعه[1]. قال تعالى: ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٨٥﴾ [آل عمران: ٨٥]. ومن تمام إكمال هذا الدين لهذه الأمة أن أظهره الله تعالى على سائر الأديان، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ٣٣﴾ [التوبة: ٣٣].

المبحث الثاني: الهداية إلى استقبال الكعبة في الصلاة.

قال تعالى: ﴿وَمِنۡ حَيۡثُ خَرَجۡتَ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَحَيۡثُ مَا كُنتُمۡ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ شَطۡرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيۡكُمۡ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِي وَلِأُتِمَّ نِعۡمَتِي عَلَيۡكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٥٠﴾ [البقرة: ١٥٠].

دلت الآية الكريمة على فضيلة هذه الأمة في استقبالها الكعبة المشرفة التي هي أفضل قبلة؛ حيث عد الله تعالى ذلك من إتمام النعمة على هذه الأمة، فقال معللا للأمر باستقبالها: ﴿وَلِأُتِمَّ نِعۡمَتِي عَلَيۡكُمۡ﴾، قال ابن كثير –رحمه الله– أي: ولأتم نعمتي عليكم فيما شرعت لكم من استقبال الكعبة؛ لتكمل لكم الشريعة من جميع وجوهها، ﴿

[1] تفسير ابن كثير – (٣ /٢٦).

﴿ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ أي: إلى ما ضَلّت عنه الأمم هديناكم إليه، وخَصصْناكم به. ولهذا كانت هذه الأمة أشرفَ الأمم وأفضلها[١].

المبحث الثالث: مشروعية صلاة الجمعة.

لقد فضّل الله تعالى يوم الجمعة على سائر الأيام. فعن أَبِي هُرَيْرَةَ –رضي الله عنه– أَنَّ النَّبِيَّ –صلى الله عليه وسلم– قَالَ: ((خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ يَوْمُ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ أُدْخِلَ الْجَنَّةَ، وَفِيهِ أُخْرِجَ مِنْهَا، وَلاَ تَقُومُ السَّاعَةُ إِلاَّ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ))[٢]. وقد شرع الله لهذه الأمة الاجتماع للصلاة فيه، وهي صلاة الجمعة. وقد ثبت أن الأمم قبلنا أمروا به فَضَلّوا عنه، واختار اليهود يوم السبت. واختار النصارى يومَ الأحد. واختار الله لهذه الأمة يوم الجمعة الذي أكمل الله فيه الخَليقَةَ[٣]. فعن أَبِي هُرَيْرَةَ –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: ((نحن الآخرون السابقون يوم القيامة، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا. ثم هذا يَومُهم الذي فَرض الله عليهم، فاختلفوا فيه، فهدانا الله له، فالناس لنا فيه تَبَعٌ، اليهود غدًا، والنصارى بعد غد))[٤].

فإن أهل الإسلام يجتمعون فيه في كل أسبوع مَرَّةً بالمعابد الكبار. قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٩ ﴾ [الجمعة: ٩]. فكانت هدايةُ الله تعالى الأمةَ الإسلاميةَ لهذا اليوم وإلى الاجتماع للصلاة فيه شرفا لها امتازت به على سائر الأمم.

المبحث الرابع: تحريم تزويج المؤمنة من الكافر.

---

[١] تفسير ابن كثير – (١ /٤٦٤).

[٢] صحيح مسلم، (٨٥٤)، كتاب: الجمعة، باب: فضل يوم الجمعة، – (٢ /٥٨٥).

[٣] تفسير ابن كثير – (٨ /١١٩).

[٤] صحيح البخاري، (٨٧٦)، كتاب: الجمعة، باب: فضل الجمعة، – (٣ /٤٧٠). وصحيح مسلم، (٨٥٥)، كتاب: الجمعة، باب: هداية هذه الأمة ليوم الجمعة، – (٢ /٥٨٥).

قال تعالى: ﴿وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟﴾ [البقرة: ٢٢١]. قال القرطبي –رحمه الله–: أي لا تزوجوا المسلمة من المشرك. وأجمعت الأمة على أن المشرك لا يطأ المؤمنة بوجه؛ لما في ذلك من الغضاضة على الإسلام(١). لأن المسلمة لو زُوِّجت من الكافر لكانت أسيرة تحته، وهو القيم عليها. والإسلام يعلو ولا يعُلى عليه. فكان في هذا التشريع رفعة وشرف للنساء المؤمنات من هذه الأمة.

المبحث الخامس: تنزيه المساجد من دخول الكفار.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ﴾ [البقرة: ١١٤]. لقد شرّف الله تعالى مساجد المسلمين على سائر معابد الملل الأخرى، وجعل لها قدسية أعظم من غيرها؛ حيث نهى المسلمين عن تمكين الكفار من دخولها إلا حال خوف ووجل. قال الشوكاني –رحمه الله– وقوله : ﴿مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ﴾ أي : ما كان ينبغي لهم دخولها إلا حال خوفهم. وفيه إرشاد للعباد من الله –عزّ وجل– أنه ينبغي لهم أن يمنعوا مساجد الله من أهل الكفر، من غير فرق بين مسجد ومسجد، وبين كافر وكافر، كما يفيده عموم اللفظ، ولا ينافيه خصوص السبب. وأن يجعلوهم بحالة إذا أرادوا الدخول كانوا على وجل وخوف من أن يفطن لهم أحد من المسلمين، فينزلون بهم ما يوجب الإهانة والإذلال. وليس فيه الإذن لنا بتمكينهم من ذلك حال خوفهم، بل هو كناية عن المنع لهم منا عن دخول مساجدنا(٢). وقال القرطبي –رحمه الله عند تفسير الآية–: وفي هذا دليل على أن الكافر ليس له دخول المسجد بحال(٣).

---

(١) الجامع لأحكام القرآن – (٣ /٧٢).

(٢) فتح القدير – (١ /١٦٥).

(٣) الجامع لأحكام القرآن – (٢ /٧٨).

كما حرم الله تعالى على المؤمنين تمكين المشركين من دخول المسجد الحرام خصوصا بعد عموم ذلك الحكم لسائر المساجد؛ لمزيد قدسيته وعلوِّ منزلته على سائر المساجد. فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٞ فَلَا يَقۡرَبُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ بَعۡدَ عَامِهِمۡ هَٰذَاۚ ﴾ [التوبة: ٢٨].

المبحث السادس: التخفيف ورفع الحرج في التشريع.

إن من نعم الله تعالى على هذه الأمة أن يسّر الله لها الشريعة، وخفف في تكاليفها. قال تعالى: ﴿ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾ [المائدة: ٦]. فالله تعالى -فيما شرعه لنا من الأحكام- لم يجعل علينا في ذلك من حرج ولا مشقة ولا عسر، وإنما هو رحمة منه بعباده؛ ليطهرهم وليتم نعمته عليهم[١]. وقال تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾ ﴾ [البقرة: ٢٨٦]. وقال عز وجل: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ ﴾ [الأعراف: ١٥٧]. وقال جل وعلا: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ ﴾ [البقرة: ١٨٥].

---

[١] تفسير السعدي - (ص ٢٢٢).

وقد ورد في القرآن الكريم عبادات وأحكام في هذا الشأن، أعرضها في المطالب التالية:

المطلب الأول: مشروعية التيمم.

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ ۚ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [المائدة: ٦].

قال ابن كثير –رحمه الله–: وقوله: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ ﴾ أي: في الدين الذي شَرَعه لكم، ﴿وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ ﴾ فلهذا أباح إذا لم تجدوا الماء أن تعدلوا إلى التيمم بالصعيد، ﴿ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾. ولهذا كانت هذه الأمة مختصة بشرعية التيمم دون سائر الأمم. كما ثبت في الصحيحين عن جابر بن عبد الله –رضي الله عنهما– قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: ((أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ ، وَجُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا[1] ...))[2]. الحديث.

المطلب الثاني: إباحة الصلاة في كل مكان.

---

[1] تقدم تخريج الحديث في ص....

[2] تفسير ابن كثير – (٢ /٣٢٠).

ومن فضائل هذه الأمة التوسعة عليها بإباحة الصلاة في أيِّ مكان كان فيه المسلم من بَرٍّ أو بحرٍ أو جوٍّ، إلا ما استثنته الشريعة. قال تعالى: ﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ [البقرة: ١٤٤]. ويظهر في معنى الآية جواز الصلاة في أيِّ موضع استقر فيه المسلم، مع لزوم الأمر بالتوجه إلى المسجد الحرام واستقباله[١]. وعن جابر بن عبد الله –رضي الله عنهما– قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: ((أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا...))[٢]. الحديث. فدلّ هذا الحديث على اختصاص هذه الأمة بهذا الحكم دون سائر الأمم؛ حيث أُبيحت لهم الصلوات في معابدهم فقط، كالبيع والصوامع[٣].

المطلب الثالث: التخفيف بإباحة الأكل والشرب والنساء ليالي رمضان.

قال تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ۖ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ ۚ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ [البقرة: ١٨٧]. وعن عمرو بن العاص –رضي الله عنه– أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال: ((فصل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلة السحر))[٤].

كان الأكل في ليالي الصوم مباحا لأهل الكتاب ما لم يناموا، فإذا ناموا حرم عليهم. وكذلك كان في أول الإسلام، حتى نزل قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ

---

[١] ينظر: بدائع الفوائد – (٤ /٩٧٦).

[٢] تقدم تخريج الحديث في ص....

[٣] فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر – (١ /٤٣٧). وتفسير السعدي – (ص ٧٠).

[٤] صحيح مسلم، (١٠٩٦)، كتاب: الصيام، باب: فضل السحور وتأكيد استحبابه واستحباب تأخيره وتعجيل الفطر – (٢ /٧٧٠).

﴿لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ [البقرة: ١٨٧]. والمعنى الذي أرشد إليه الحديث الشريف: أن السحور هو الفارق بين صيامنا وصيام أهل الكتاب؛ لأن الله تعالى أباحه لنا إلى الصبح بعد ما كان حراما علينا أيضا في بدء الاسلام. وحرمه على أهل الكتاب بعد أن يناموا، أو مطلقا. ومخالفتنا إياهم تقع موقع الشكر لتلك النعمة. فندب الشرع إلى السحور: لاستعمال رخصة الشرع. ولظهور الفرق؛ فإن صاحب الشرع كان يأمر بمخالفة أهل الكتاب. ولبيان أن هذا الدين سمح سهل. وليظهر رفق الحق بهذه الأمة، فيبدو أثر حب الله لها في اللطف بها. وليتقوى الصائم على أداء الفرض. ولدفع ما يوجب التأفف بالتكليف[1].

---

[1] كشف المشكل من حديث الصحيحين – (ص ١٠٩٧). وتحفة الأحوذي – (٣ /٣٢٣).

المطلب الرابع: التخفيف في التوبة من الشرك.

لقد شدد الله -عز وجلّ- على بني إسرائيل في صفة توبتهم من الشرك في عبادتهم العجل؛ حيث أوجب عليهم أن يقتل بعضهم بعضا؛ ليكون ذلك توبة منهم مما اقترفوه في حق الباري سبحانه وتعالى لما ندموا على ذلك الجرم، قال تعالى: ﴿ وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾ وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا۟ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا۟ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ ﴾ [الأعراف: ١٤٨ – ١٤٩]. فبين الله تعالى لهم صفة التوبة من ذلك على لسان موسى -عليه السلام-، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾ ﴾ [البقرة: ٥٤].

وأما التوبة من الشرك في هذه الأمة، فهي بترك الذنب والإقلاع عنه، مع الندم على ما فات، والعزم الصادق على عدم الرجوع إليه. قال تعالى: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُوا۟ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [الأنفال: ٣٨]. وقال أيضا: ﴿ ۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الزمر: ٥٣]. وقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٧٠﴾ [الفرقان: ٦٨ – ٧٠]. وقال النبي –صلى الله عليه وسلم في حديث عمرو بن العاص–: ((أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الإِسْلاَمَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ))[1].

فكان بهذا التخفيف في صفة التوبة من الشرك لهذه الأمة فضيلة رحمها الله بها وميّزها بها على من قبلها.

المطلب الخامس: إباحة الانتفاع بالغنائم والقرابين. وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: إباحة الانتفاع بالغنائم.

قال تعالى: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا يَوۡمَ ٱلۡفُرۡقَانِ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٤١﴾ [الأنفال: ٤١].

وقال تعالى: ﴿فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمۡتُمۡ حَلَٰلٗا طَيِّبٗاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٦٩﴾ [الأنفال: ٦٩].

ومن فضائل هذه الأمة ما منّ الله تعالى به عليها من إباحة الانتفاع بالغنائم، وقد مُنِعتْ منها الأمم السابقة. قال ابن كثير –رحمه الله، عند تفسير الآية–: يبين تعالى تفصيل ما شرعه مخصصا لهذه الأمة الشريفة من بين سائر الأمم المتقدمة، من إحلال المغانم[2]. وفي حديث جَابِرِ بْن عَبْدِ اللَّهِ –رضي الله عنهما– المتقدم، أَنَّ النَّبِيَّ – صلى الله عليه وسلم – قَالَ ((أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلاَةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِيَ

---

[1] صحيح مسلم، (٣٣٦)، كتاب: الإيمان، باب: كَوْنِ الإِسْلاَمِ يَهْدِمُ مَا قَبْلَهُ وَكَذَا الْهِجْرَةُ وَالْحَجُّ، – (١/ ٧٨).

[2] تفسير ابن كثير – (٤ /٥٩).

الْمَغَانِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لأَحَدٍ قَبْلِي ...))[١]. وعن أبي هريرة –رضي الله عنه–: عن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: ((لم تحل الغنائم لأحد سود الرؤس من قبلكم، كانت تنزل نار من السماء فتأكلها))، فلما كان يوم بدر وقعوا في الغنائم قبل أن تحل لهم، فأنزل الله تعالى: ﴿ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ ﴾ [الأنفال: ٦٨][٢].

المسألة الثانية: إباحة الانتفاع بالقرابين.

لقد أكرم الله تعالى هذه الأمة بإباحة الأكل مما يقدمونه لله تعالى من الهدي والقرابين؛ حيث قال تعالى: ﴿ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۖ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الحج: ٢٨]. وقال سبحانه: ﴿ وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ ۖ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [الحج: ٣٦]. فقوله: ﴿ فَكُلُوا۟ مِنْهَا ﴾ في الآيتين خطاب للمهدي؛ حيث أذن الله له بالأكل من هديه[٣]، مع كونه قرباناً. بخلاف ما كانت عليه الشرائع السابقة من تحريم ذلك عليهم؛ حيث كانت قرابينهم تأكلها نار من السماء إذا تُقُبِّلتْ[٤]. قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ ۗ قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ

---

[١] تقدم تخريج الحديث.

[٢] قال أبو عيسى الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب. وقال الشيخ الألباني: صحيح. سنن الترمذي، مع تعليق الألباني، (٣٠٨٥)، كتاب: تفسير القرآن عن رسول الله صلى الله عليه و سلم، باب: ومن سورة الأنفال، – (٥ /٢٧١).

[٣] ينظر: تفسير السعدي – (ص ٥٣٨).

[٤] ينظر: تفسير البحر المحيط – (٣ /١٣٧). وتفسير ابن كثير – (٣ /٨٣).

﴿ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِٱلْبَيِّنَـٰتِ وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿١٨٣﴾ ﴾ [آل عمران: ١٨٣].

المطلب السادس: التخفيف في العقوبات. وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: التخفيف في عقوبة القتل إلى الدية.

شرع الله تعالى القصاص للمحافظة على حياة الناس وأمنهم وطمأنينتهم على نفوسهم، كما قال تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾ [البقرة: ١٧٩]. قال ابن القيم –رحمه الله–: وذلك لأن القاتل إذا توهم أنه يقتل قصاصا بمن قتله كفّ عن القتل وارتدع، وآثر حب حياته ونفسه. فكان فيه حياة له ولمن أراد قتله(١).

فالقصاص رادع وزاجر عن ارتكاب جريمة القتل في هذه الأمة وفي الأمم السابقة، قال عز وجل: ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ﴾ [المائدة: ٤٥]. ثم خفف سبحانه على هذه الأمة فشرع أخذ الدية مع العفو، قال تعالى: ﴿ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَـٰنٍ ۗ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ﴾ [البقرة: ١٧٨]. قال الشوكاني –رحمه الله–: وقوله: ﴿ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ ﴾ إشارة إلى العفو والدية، أي: أن الله شرع لهذه الأمة العفو من غير عوض، أو بعوض، ولم يضيق عليهم كما ضيق على اليهود، فإنه أوجب عليهم القصاص ولا عفو، وكما ضيق على النصارى، فإنه أوجب عليهم العفو ولا دية(٢). وقال ابن عباس –رضي الله عنهما–: كان على بني إسرائيل قصاص في القتل، ليس بينهم دية في نَفس ولا جَرْح، وذلك قول

---

(١) التفسير القيم – (١٦١).

(٢) فتح القدير – (١ /٢٢٨).

الله: ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ ﴾ [المائدة: ٤٥] الآية كلها، وخفف الله عن أمة محمد صلى الله عليه وسلم، فقبل منهم الدية في النفس وفي الجراحة، وذلك قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾(١). قال صلى الله عليه وسلم: ((وَمَنْ قُتِلَ لَهُ قَتِيلٌ فَهُوَ بِخَيْرِ النَّظَرَيْنِ، إِمَّا يُودَى وَإِمَّا يُقَادُ))(٢). وقال صلى الله عليه وسلم: ((مَنْ أُصِيبَ بِقَتْلٍ أَوْ خَبْلٍ فَإِنَّهُ يَخْتَارُ إِحْدَى ثَلاَثٍ: إِمَّا أَنْ يَقْتَصَّ، وَإِمَّا أَنْ يَعْفُوَ، وَإِمَّا أَنْ يَأْخُذَ الدِّيَةَ، فَإِنْ أَرَادَ الرَّابِعَةَ فَخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ. وَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ))(٣).

فكان في تشريع العفو والدية لهذه الأمة تخفيف لها ورحمة بها؛ لما في شريعة العفو من المحافظة على حياة القاتل، ولما في شريعة الدية من النفع لأولياء المقتول(٤).

المسألة الثانية: التخفيف في عقوبة الصيد.

إن ارتكاب محارم الله تعالى وتعدي حدوده ومخالفة أمره جريمة عظمى في حق الله عز وجل. ولهذا عاقب الله تعالى المعتدين بالاحتيال في الصيد يوم السبت من بني إسرائيل بالمسخ قردة؛ لأن الله تعالى قد نهاهم عن الصيد يوم السبت. قال تعالى: ﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا

---

(١) تفسير الطبري – (٣ /٣٧٤).

(٢) صحيح البخاري، (٦٨٨٠)، كتاب: التفسير، باب: مَنْ قُتِلَ لَهُ قَتِيلٌ فَهُوَ بِخَيْرِ النَّظَرَيْنِ، – (٩ /٥).

(٣) سنن أبي داود، (٤٤٩٨)، كتاب: الديات، باب: الإمام يأمر بالعفو في الدم – (٤ /٢٨٧).

(٤) ينظر: روح المعاني – (٢ /٥١).

كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْاْ عَن مَّا نُهُواْ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾ ﴾ [الأعراف: ١٦٣ – ١٦٦]. وقال سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْاْ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [البقرة: ٦٥ – ٦٦].

وحرّم الله تعالى في ملة الإسلام صيد البر على من كان محرما بالحج أو العمرة، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْتُلُواْ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ﴾ [المائدة: ٩٥]. وجعل لذلك المنكر كفارة لمن ارتكبه تخفيفا على هذه الأمة، فقال: ﴿ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًۢا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّٰرَةٌ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ ۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ ۚ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴾ [المائدة: ٩٥].

ويلحظ من هذا فضيلة هذه الأمة بتخفيف العقاب عنها، فلم تعاقب بمثل تلك العقوبة التي عوقب بها بنو إسرائيل لما ارتكبوا ما حرّم الله عليهم من صيد يوم السبت.

الفصل الرابع: فضائل الأمة المحمدية في ذاتها.

لقد منّ الله تعالى على هذه الأمة بفضائل في ذاتها من أعمال وصفات وهبات عرضها القرآن الكريم، فاقت بها من قبلها من الأمم. وبيان ذلك في المباحث التالية.

المبحث الأول: وسطية الأمة وخيريتها على سائر الأمم.

قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة: ١٤٣]، أي: عدولا خيارا[١]. وقال سبحانه: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١١٠]. قال ابن سعدي –رحمه الله–: يمدح تعالى هذه الأمة ويخبر أنها خير الأمم التي أخرجها الله للناس؛ وذلك بتكميلهم لأنفسهم بالإيمان المستلزم للقيام بكل ما أمر الله به، وبتكميلهم لغيرهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر المتضمن دعوة الخلق إلى الله وجهادهم على ذلك وبذل المستطاع في ردهم عن ضلالهم وغيهم وعصيانهم، فبهذا كانوا خير أمة أخرجت للناس[٢].

فبهذه الأعمال والصفات التي وفق الله تعالى إليها الأمة المحمدية نالت من الدين أكمله، ومن الأخلاق أجلها، ومن الأعمال أفضلها[٣].

وعن مُعَاوِيَةَ القشيري –رضي الله عنه– أَنَّ رَسُولَ اللهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قَالَ: ((أَنْتُمْ تُوفُونَ سَبْعِينَ أُمَّةً، أَنْتُمْ خَيْرُهَا وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللهِ)) [٤].

---

[١] ينظر: تفسير الطبري – (٣ /١٤١).

[٢] تفسير السعدي – (ص ١٤٣).

[٣] ينظر: تفسير السعدي – (ص ٧٠).

[٤] صححه الحاكم، ووافقه الذهبي. مسند الإمام أحمد، (٢٠٠١٥)، – (٣٣ /٢١٩). والمستدرك على الصحيحين، مع تعليقات الذهبي في التلخيص، (٦٩٨٨)، – (٤ /٩٤).

المبحث الثاني: الإشادة بالأمة وذكر أوصافها في الكتب السابقة.

قال الله تعالى: ﴿ وَٱخۡتَارَ مُوسَىٰ قَوۡمَهُۥ سَبۡعِينَ رَجُلٗا لِّمِيقَٰتِنَاۖ فَلَمَّآ أَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ قَالَ رَبِّ لَوۡ شِئۡتَ أَهۡلَكۡتَهُم مِّن قَبۡلُ وَإِيَّٰيَۖ أَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآۖ إِنۡ هِيَ إِلَّا فِتۡنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهۡدِي مَن تَشَآءُۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَاۖ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ۞ وَٱكۡتُبۡ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَۚ قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [الأعراف: ١٥٥ – ١٥٧]. فقوله: ﴿فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ﴾، يعني: فسأوجب حُصُول رحمتي مِنَّةً مني وإحسانا إلى هؤلاء المتصفين بهذه الصفات، وهم أمة محمد –صلى الله عليه وسلم–، الذين يتقون الشرك والعظائم من الذنوب، وَيُؤْتُونَ زكاة النفوس والأموال، وهُمْ بآيَاتِ الله يصدقون، وعلى متابعة النبي الأمي سائرون[1]. وهذا من وحي الله تعالى إلى موسى –عليه السلام– لما سأل ربه التوبة والرحمة في الدنيا والآخرة له ولمن معه، وهم سبعون رجلا.

---

[1] ينظر: تفسير ابن كثير – (٣ /٤٨٢ – ٤٨٣).

وقال تعالى: ﴿ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا ﴾ [الحج: ٧٨]، أي: الله سماكم المسلمين من قبل في الكتب المتقدمة وَفِي هَذَا القرآن[١].

وقال تعالى: ﴿ مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ﴿٢٩﴾ ﴾ [الفتح: ٢٩]. فقد دلت هذه الآية على أن التوراة والإنجيل ذُكِر فيهما هذه الأوصاف للأمة المحمدية.

ولا يخفى ما في هذه النصوص الكريمة من التشريف والتفضيل والتكريم لهذه الأمة.

المبحث الثالث: اصطفاء الأمة بتوريثها القرآن الكريم.

قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَا ﴾ [فاطر: ٣٢].

أي: ثم جعلنا القائمين بالكتاب العظيم، المصدق لما بين يديه من الكتب، ﴿ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَا ﴾، وهم هذه الأمة[٢]. فقد اصطفاها الله -عز وجل- بتوريثها القرآن العظيم، الذي هو أعظم الكتب وأفضلها؛ لأن هذه الأمة أكمل الأمم عقولا، وأحسنهم أفكارا، وأرقهم قلوبا، وأزكاهم أنفسا[٣]. قال الله تعالى: ﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران: ١١٠].

---

[١] ينظر: تفسير ابن كثير – (٥/ ٤٥٦).

[٢] ينظر: تفسير ابن كثير – (٦/ ٥٤٦).

[٣] ينظر: تفسير السعدي – (ص ٦٨٩).

المبحث الرابع: تميّز الأمة المحمدية برتبة السبق بالخيرات.

ذكر الله تعالى أن أهل الكتاب قسمان في قوله سبحانه: ﴿مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٦٦]. ومعنى ﴿أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ﴾، أي: طائفة مقتصرة على ما يجب عليها، تاركة للمحرم. فجعل الله تعالى أعلى مقاماتهم الاقتصاد، وهو أوسط مقامات هذه الأمة. وفوق ذلك رتبة السابقين التي امتازت بها هذه الأمة، كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾﴾ [فاطر: ٣٢]. والسابق بالخيرات، هو المؤدي للفرائض، المكثر من النوافل، التارك للمحرم والمكروه[1]. ففاقت هذه الأمة بهذه الخصلة غيرها من الأمم.

المبحث الخامس: وعد الله تعالى لمؤمني هذه الأمة بدخول الجنة على اختلاف طبقاتهم.

قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾﴾ [فاطر: ٣٢ – ٣٥].

لما ذكر الله تعالى أصناف هذه الأمة المصطفاة، من الظالم لنفسه، والمقتصد، والسابق بالخيرات، وعد الجميع بدخول الجنة بفضله وكرمه.

---

[1] ينظر: تفسير ابن كثير – (٣ /١٤٩). وتفسير السعدي – (٦٨٩). وأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن – (١ /٤١٧). ودفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب (١٧ – ١٨).

والظالم لنفسه: هو من ظلمها بالمعاصي التي هي دون الكفر، فخلط عملا صالحا وآخر سيئا.

فكلهم اصطفاه الله تعالى، لوراثة هذا الكتاب، وإن تفاوتت مراتبهم، وتميزت أحوالهم. فلكل منهم قسط من وراثته، حتى الظالم لنفسه، فإن ما معه من أصل الإيمان وعلوم الإيمان وأعمال الإيمان من وراثة الكتاب. فاستحقوا بذلك هذا الثواب العظيم[1].

فهذه الآيات من أرجى آيات القرآن العظيم، كما قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي –رحمه الله تعالى–[2].

المبحث السادس: إهلاك عدوهم بأيديهم.

لقد منّ الله تعالى على هذه الأمة بأن جعل هلاك عدوها بأيديها في مواطن كثيرة؛ لما في ذلك من النعمة العظمى بشفاء صدور المؤمنين من عدوهم غاية الشفاء. قال تعالى: ﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾﴾ [التوبة: ١٤ – ١٥].

فإن قتل المؤمنين الكافرين أشد إهانة للكافرين، وأشفى لصدور المؤمنين؛ ولهذا كان قَتلُ صناديد قريش بأيدي المؤمنين أنكى لحزب الكفر، وأشفى لصدور حزب الإيمان[3].

وقد ضمن الله تعالى للمسلمين من تلك المقاتلة فوائد عديدة، كرامة للمؤمنين وإهانة لهؤلاء المشركين. وهي: تعذيب المشركين بأيدي المسلمين، وخزي المشركين، وعزة المسلمين، ونصر المسلمين، وهزيمة المشركين، وشفاء صدور فريق من المؤمنين، وتستلزم

---

[1] ينظر: تفسير ابن كثير – (٣ /١٤٩). وتفسير السعدي – (٦٨٩). وأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن – (١ /٤١٧).

[2] أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن – (٥ /٤٨٩).

[3] ينظر: تفسير ابن كثير – (٤ /٢١).

شفاء صدور المؤمنين كلهم، وحرج صدور أعدائهم، وإذهاب غيظ قلوب المؤمنين، وإبقاء غيظ قلوب أعدائهم.

فإن في إسناد التعذيب إلى الله تعالى، وجَعْل أيدي المسلمين آلة له تشريفا للمسلمين[١].

وما منّ الله تعالى به على المؤمنين من شفاء صدورهم بإهلاك عدوهم بأيديهم أعظم مما شفى به صدور بني إسرائيل بإهلاك عدوهم على مرأى منهم، كما قال تعالى: ﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [البقرة: ٥٠][٢].

المبحث السابع: تخصيص هذه الأمة بنداء الله تعالى لها بوصف الإيمان والعبودية وبأولي الألباب والبصيرة.

لقد شرف الله تعالى أمة محمد –صلى الله عليه وسلم– بندائها بهذه الأوصاف الجليلة تكريما لها من بين سائر الأمم. وكتاب الله تعالى زاخر بهذه الأوصاف في آيات كثيرة. كقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ ﴾ [البقرة: ١٧٢]. وقوله سبحانه: ﴿ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [العنكبوت: ٥٦]. وقوله عز وجل: ﴿ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾ ﴾ [البقرة: ١٩٧]. وقوله جل ثناؤه: ﴿ فَٱعْتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٢﴾ ﴾ [الحشر: ٢].

---

[١] التحرير والتنوير – (١٠ /١٣٥).

[٢] ينظر: تفسير سورة الفاتحة والبقرة لابن عثيمين – (١ /١٧٩).

وقد ميّز الله تعالى هذه الأمة بهذه الأوصاف المذكورة ههنا على بني إسرائيل الذين كانوا أفضل ممن سواهم من الأمم السابقة. فإنه قد ورد في الأثر: ((ما تقرؤون في القرآن: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾، فإنه في التوراة: ((يا أيها المساكين))[١].

ولما ذكر الله تعالى بعض أصناف الأمم، خص هذه الأمة بتسميتها بالمؤمنين؛ حيث قال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [البقرة: ٦٢]. قال ابن كثير –رحمه الله–: وسميت أمة محمد –صلى الله عليه وسلم– مؤمنين؛ لكثرة إيمانهم وشدة إيقانهم، ولأنهم يؤمنون بجميع الأنبياء الماضية، والغيوب الآتية[٢].

وفي هذا تشريف وفضيلة لأمة محمد –صلى الله عليه وسلم– على سائر الأمم.

المبحث الثامن: سرعة استجابة الأمة لأوامر الله تعالى.

أثنى الله تعالى على هذه الأمة في مبادرتها إلى امتثال أوامر الله تعالى، واجتناب نواهيه، والتسليم لأمره. قال تعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ ﴾ [البقرة: ٢٨٥]. وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ –رضي الله عنه– قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم–: ﴿ لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾ ﴾ [البقرة: ٢٨٤]، قَالَ: فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم–، فَأَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ –صلى

---

[١] تفسير ابن كثير – (١ /٣٧٤).

[٢] تفسير ابن كثير – (١ /٢٨٥).

الله عليه وسلم–، ثُمَّ بَرَكُوا عَلَى الرُّكَبِ، فَقَالُوا: أَىْ رَسُولَ اللَّهِ، كُلِّفْنَا مِنَ الأَعْمَالِ مَا نُطِيقُ، الصَّلاَةُ وَالصِّيَامُ وَالْجِهَادُ وَالصَّدَقَةُ. وَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيْكَ هَذِهِ الآيَةُ وَلاَ نُطِيقُهَا. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم–: ((أَتُرِيدُونَ أَنْ تَقُولُوا كَمَا قَالَ أَهْلُ الْكِتَابَيْنِ مِنْ قَبْلِكُمْ: سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا؟ بَلْ قُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ)). قَالُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ. فَلَمَّا اقْتَرَأَهَا الْقَوْمُ، ذَلَّتْ بِهَا أَلْسِنَتُهُمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِى إِثْرِهَا: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ ﴾ [البقرة: ٢٨٥][1]... الحديث.

فدلّ هذان النصان من الكتاب والسنة على سرعة مبادرة المؤمنين إلى أمر الله وتسليمهم له.

ومن أمثلة مبادرة الأمة المحمدية إلى امتثال أمر الله تعالى، ما جاء في قوله عز وجل: ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ [النور: ٥١].

أخبر الله تعالى في هذه الآية الكريمة عن صفة المؤمنين المستجيبين لله ولرسوله – الذين لا يبغون دينا سوى كتاب الله وسنة رسوله– أنهم إِذَا دُعُوا إِلَى حكم اللَّهِ وَرَسُولِهِ استجابوا قائلين: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا؛ ولهذا وصفهم تعالى بالفلاح، وهو نيل المطلوب والسلامة من المرهوب، فقال: ﴿ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[2].

---

[1] صحيح مسلم، (٣٤٤)، كتاب: الإيمان، باب: بيان أنه سبحانه وتعالى لم يكلف إلا ما يطاق، – (١ /٨٠).

[2] تفسير ابن كثير – (٦ /٧٥). بتصرف يسير.

ومن ذلك أيضا، ما جاء في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٧٢ – ١٧٤].

لما رجع النبي –صلى الله عليه وسلم– من أُحُدٍ إلى المدينة، وسمع أن أبا سفيان ومن معه من المشركين قد هموا بالرجوع إلى المدينة، ندب أصحابه إلى الخروج، فخرجوا –على ما بهم من الجراح– استجابة لله ولرسوله، وطاعة لله ولرسوله، فوصلوا إلى حمراء الأسد، وجاءهم من جاءهم وقال لهم: إن الناس قد جمعوا لكم، وهموا باستئصالكم؛ تخويفا لهم وترهيبا، فلم يزدهم ذلك إلا إيمانا بالله واتكالا عليه. وقالوا: حسبنا الله ونعم الوكيل. أي: الله كافينا كل ما أهمنا، وهو المفوض إليه تدبير عباده، والقائم بمصالحهم[1].

وقد كان بنو إسرائيل قوما متعنتين على أوامر الله تعالى وأنبيائه، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَـٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا ﴾ [البقرة: ٩٣]، وقال تعالى عن نبيه موسى –عليه السلام–: ﴿ يَـٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَـٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا۟ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَـٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم

---

[1] تفسير السعدي – (١٥٧). بتصرف يسير.

مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُواْ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [المائدة: ٢١ – ٢٤].

فعوقبوا بالتيه أربعين سنة؛ لنكولهم عن الجهاد مع موسى –عليه السلام–، ومع ذلك منّ الله عليهم في التيه بنعم كثيرة، إلا أنهم لم يشكروا الله عليها. فخالفوا أمر الله، وكفروا فظلموا أنفسهم، مع ما شاهدوه في التيه من الآيات البينات والمعجزات القاطعات، وخوارق العادات.

ومن هاهنا تتبين فضيلة أصحاب محمد –صلى الله عليه وسلم، ورضي عنهم–على سائر أصحاب الأنبياء في صبرهم وثباتهم وعدم تعنتهم في حال الرخاء والشدة[١].

المبحث التاسع: شهادتها على الناس وللأنبياء.

ومن فضائل هذه الأمة أن جعلها الله تعالى شاهدة على الناس، يشهد بعضها على بعض في الدنيا، وتشهد للأنبياء –عليهم السلام– في الآخرة بتبليغهم رسالة الله لأقوامهم. قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَـٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: ١٤٣]. أي: لتكونوا يوم القيامة شُهَداء على الأمم؛ لأن الجميع معترفون لكم بالفضل[٢].

وقال تعالى: ﴿ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَـٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ [الحج: ٧٨]. أي: تشهدون للرسل أنهم بلغوا أممهم، وتشهدون على الأمم أن رسلهم بلغتهم بما أخبركم الله به في كتابه[٣].

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ –رضي الله عنه– قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم–: ((يُدْعَى نُوحٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ يَا رَبِّ. فَيَقُولُ: هَلْ بَلَّغْتَ؟

---

[١] تفسير ابن كثير – (١ /٢٧٣). بتصرف يسير.

[٢] تفسير ابن كثير – (١ /٤٥٤).

[٣] تفسير السعدي – (٥٤٦).

فَيَقُولُ نَعَمْ. فَيُقَالُ لأُمَّتِهِ هَلْ بَلَّغَكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: مَا أَتَانَا مِنْ نَذِيرٍ. فَيَقُولُ: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ. فَتَشْهَدُونَ أَنَّهُ قَدْ بَلَّغَ، وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا. فَذَلِكَ قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: ١٤٣][١]. وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ -رضي الله عنهما- قَالَ: ((مُرَّ بِجَنَازَةٍ، فَأُثْنِيَ عَلَيْهَا خَيْرٌ، فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-: «وَجَبَتْ وَجَبَتْ وَجَبَتْ». وَمُرَّ بِجَنَازَةٍ، فَأُثْنِيَ عَلَيْهَا شَرٌّ، فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-: «وَجَبَتْ وَجَبَتْ وَجَبَتْ». قَالَ عُمَرُ -رضي الله عنه-: فِدًى لَكَ أَبِي وَأُمِّي، مُرَّ بِجَنَازَةٍ، فَأُثْنِيَ عَلَيْهَا خَيْرٌ، فَقُلْتَ: وَجَبَتْ وَجَبَتْ وَجَبَتْ. وَمُرَّ بِجَنَازَةٍ، فَأُثْنِيَ عَلَيْهَا شَرٌّ، فَقُلْتَ: وَجَبَتْ وَجَبَتْ وَجَبَتْ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-: «مَنْ أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْرًا، وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ، وَمَنْ أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ شَرًّا، وَجَبَتْ لَهُ النَّارُ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الأَرْضِ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الأَرْضِ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الأَرْضِ»))[٢].

فتبيّن من هذه النصوص الكريمة شرف هذه الأمة وفضلها على سائر الأمم؛ حيث استشهد بها الأنبياء على أقوامهم في تبليغهم رسالة ربهم والنصح لهم.

المبحث العاشر: تفضيل نساء نبيّ الأمة المحمدية على سائر النساء.

اصطفى الله تعالى لنبيه -صلى الله عليه وسلم- خيرة النساء. فهنّ أفضل نساء العالمين. قال تعالى: ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾ [الأحزاب: ٣٢]. وهذا لا يتعارض مع اصطفاء الله تعالى مريم -عليها السلام- في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾

---

[١] صحيح البخاري، (٤٤٨٧)، كتاب: التفسير (سورة البقرة)، باب: قَوْلِهِ: ((وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا))، - (١٤ /٤٥٣).

[٢] صحيح البخاري، (١٣٦٧)، كتاب: الجنائز، باب: ثناء الناس على الميت، - (٥ /٢٩٥). وصحيح مسلم، (٢٢٤٣)، كتاب: الجنائز، باب: مَنْ صَلَّى عَلَيْهِ أَرْبَعُونَ شُفِّعُوا فِيهِ، - (٣ /٥٣). واللفظ لمسلم.

[آل عمران: ٤٢]، فهذا الاصطفاء يرجع إلى تفضيلها على سائر نساء العالمين، إما على عالمي زمانها، أو مطلقا، وإن شاركها أفراد من النساء في ذلك كأزواج النبي–صلى الله عليه وسلم– وغيرهنّ(١).

وفي تخصيص الله تعالى لأزواج النبي –صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهن– بتوجيه النداء إليهن مزيد عناية بهن وشرف وفضيلة لهن. كما يصاحب ذلك اعتبارهن أمهات للمؤمنين. قال تعالى: ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ﴾ [الأحزاب: ٦]، وقال سبحانه: ﴿ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٣]. فكنّ بذلك أفضل نساء الأنبياء على الإطلاق.

(١) تفسير السعدي – (١٣٠) بتصرف يسير.

الخاتمة

من النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا البحث ما يلي:

١- إن فضائل هذه الأمة ثابتة مقررة منذ الرسالات السابقة جميعا.

٢- إن فضل هذه الأمة على سائر الأمم ثابت في الدنيا والآخرة.

٣- إن فضائل هذه الأمة في نبيها صلى الله عليه وسلم ثابتة في ذاته، وفيما وهبه الله تعالى من عظيم الهبات، وما تحقق للأمة في حياته، وبعد مماته من البركات.

٤- إن فضائل هذه الأمة فيما وهبها الله تعالى من المزايا، وفيما كلفها به من التكاليف، وفي نداء الله تعالى لها، وتزكيته إياها.

٥- من الفضائل ما هو منصوص، ومنها ما هو مستنبط.

ثبت المصادر والمراجع:

١- القرآن الكريم.

٢- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد ابن مصطفى، (دار الكتب العلمية، بيروت).

٣- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، تأليف: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي ت (١٣٩٣هـ)، دار الفكر للطباعة بيروت (لبنان) ١٤١٥هـ.

٤- بدائع الفوائد، تأليف: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي المعروف بـ(ابن القيم الجوزية)، تحقيق : هشام عبد العزيز عطا – عادل عبد الحميد العدوي – أشرف أحمد، مكتبة نزار مصطفى الباز (مكة المكرمة)، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.

٥- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، (مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، الطبعة : الأولى، ١٤٢٠هـ)

٦- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري أبو العلا، (دار الكتب العلمية، بيروت).

٧- تفسير البحر المحيط، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان النحوي الأندلسي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، ود. زكريا عبد المجيد النوقي، ود.أحمد النجولي الجمل، (دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢هـ).

٨- تفسير القرآن الكريم سورة الفاتحة – البقرة للشيخ: محمد بن صالح العثيمين، طبعة دار ابن الجوزي، الطبعة الثانية محرم ١٤٣١هـ.

٩- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، (دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ).

١٠- التفسير القيم، ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف شيخ ابراهيم رمضان، (دار الهلال، بيروت، ١٤١٠هـ).

١١- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، (مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ).

١٢- جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، (مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ، ١٤٢٠ هـ).

١٣- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: سمير البخاري، (دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: ١٤٢٣هـ).

١٤- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود ابن عبد الله الحسيني الآلوسي، تحقيق: على عبد البارى عطية، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ).

١٥- سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، (دار الكتاب العربي ـ بيروت).

١٦- سنن الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وبأحكام الألباني، (دار إحياء التراث العربي، بيروت).

١٧- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تأليف: إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين (بيروت) الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ.

١٨- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، (دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٧ – ١٩٨٧).

١٩- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (دار إحياء التراث العربي، بيروت).

٢٠- الصواعق المرسلة، ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، تحقيق: د. علي بن محمد الدخيل الله، (دار العاصمة، الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤١٨هـ).

٢١- طريق الهجرتين، ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، (دار ابن القيم، الدمام، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ).

٢٢- فتح الباري شرح صحيح البخاري ابن حجر العسقلاني ت (٨٥٢هـ) تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، ومحب الدين الخطيب، دار المعرفة (بيروت)، ١٣٧٩هـ.

٢٣- فتح القدير الجامع بين فني الرواية و الدراية من علم التفسير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، (دار الكتب العلمية، بيروت).

٢٤- كتاب الشريعة، للإمام المحدث: أبي بكر بن محمد بن الحسين الآجري، تحقيق د. عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي، (دار الوطن، الرياض، الطبعة الأولى - ١٤١٨هـ).

٢٥- كشف المشكل من حديث الصحيحين، أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي، تحقيق: علي حسين البواب، دار الوطن، الرياض - ١٤١٨هـ).

٢٦- المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، (دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الأولى ، ١٤١١هـ).

٢٧- مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله الشيباني، بأحكام شعيب الأرنؤوط، (مؤسسة قرطبة، القاهرة).

٢٨- معالم التنزيل، محيي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: محمد عبد الله النمر وعثمان جمعة ضميرية وسليمان مسلم الحرش، (دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة: الرابعة ١٤١٧هـ).

٢٩- معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (دار الفكر، بيروت، الطبعة: ١٣٩٩هـ).

٣٠- معجم المناهي اللفظية، الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد.

٣١- المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، (دار الفكر، بيروت).

٣٢- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، (دار إحياء التراث العربي، بيروت الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ).

٣٣- نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، (مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، - ١٤٠٤هـ).